

## كيف نحافظ على هويتنا؟



ـ لابدـ في البداية من التأكيد أنـ ما نحتاج إليه فعلاـ ليس هو استرداد الهـويـة الضائعة، وإنـما المحافظة على سلامة الهـويـة من الانحراف والتحريف، فهوـ يـتنا الإسلامية ليست مفقودة عليناـ أن نـفـتـش عنهاـ، وإنـما هي مريضة تـعـانـي من أـزـمة صـحـيـةـ، ومن صـدـاـ متراكمـ عليهاـ يـمـكـن إـرـاحـتهـ لاـ علىـ مـقـدـارـ ماـ نـفـهـمـ هـذـهـ الهـويـةـ وـنـجـبـهاـ، وـنـتـعـلـقـ بـهـاـ، وـنـعـتـرـ بـهـاـ فقطـ، وإنـماـ منـ خـلـالـ شـعـورـ حـقـيقـيـ نـفـهـمـ أـزـهاـ سـبـبـ عـزـتـناـ أـيـضاــ.

وسـبـلـ الحـفـاظـ عـلـىـ الهـويـةـ كـثـيرـةـ، أـفـاصـ فـيـهاـ الـبـاحـثـونـ وـالـدـارـسـونـ وـالـحـرـيمـسـونـ عـلـىـ نـقـائـهاـ أـوـ بـقـائـهاـ (ـفـاعـلـةـ)ـ (ـمـفـاعـلـةـ)ـ سـوـاءـ مـنـ خـلـالـ (ـالـخـطـابـ الدـينـيـ)ـ المـعـنـدـ وـالـمـرـاعـيـ لـخـصـوصـيـاتـ الزـمانـ وـالـمـكـانـ وـالـشـرـائـجـ الـمـخـاطـبـةـ)ـ أـوـ مـنـ خـلـالـ إـعادـةـ الـاعـتـباـرـ لـدـورـ الـأـسـرـةـ كـواـضـعـ لـحـجـرـ أـسـاسـ الهـويـةـ،ـ أـوـ إـلـىـ الـاـنـتـقـالـ بـالـمـنـاهـجـ الـتـعـلـيمـيـةـ الـدـينـيـةـ مـنـ (ـالـتـلـقـيـنـ)ـ إـلـىـ (ـالـسـرـدـ)ـ إـلـىـ (ـطـرـحـ)ـ الـأـسـئـلـةـ وـالـإـجـابـةـ عـنـهـاـ)ـ وـالـاستـمـاعـ إـلـىـ مـاـ يـدـورـ فـيـ الـأـذـهـانـ مـنـ إـشـكـالـاتـ وـالـرـدـ عـلـيـهـاـ،ـ وـإـلـىـ عـدـمـ التـسـلـيمـ الـمـطـلـقـ لـمـاـ يـقـولـهـ الـإـعـلـامـ بـكـلــ وـسـائـلـهـ الـمـرـئـيـةـ وـالـمـسـمـوـعـةـ وـالـمـفـرـوـءـةـ وـالـجـامـعـةـ.ـ فـهـوـ بـيـنـ (ـمـغـرـمـ)ـ وـمـتـعـمـدـ لـلـإـسـاءـةـ وـالـإـثـارـةـ وـالـاسـفـارـ،ـ وـآخـرـ (ـمـتـعـمـبـ)ـ لـلـفـئـةـ وـالـطـائـفـةـ وـالـطـائـفـةـ وـالـمحـورـ السـيـاسـيـ الـذـيـ يـنـتـتمـيـ إـلـيـهـ وـلـاـ يـرـىـ الـحـيـاةـ إـلـاـ فـيـ شـبـاكـهـ الـصـيـقـقـ،ـ وـآخـرـ يـلـبسـ الـثـقـافـةـ الـإـسـلـامـيـةـ ثـيـابـ الـتـغـرـبـ لـنـحـسـبـهـاـ مـنـ الـإـسـلـامـ،ـ وـمـاـ هـيـ مـنـهـ،ـ وـآخـرـ يـخـلـطـ الـحـقـيـقـةـ بـالـزـيفـ.ـ وـآخـرـ وـآخـرـ،ـ حتـىـ يـنـدـرـ أـنـ تـجـدـ إـلـاـعـاـمـاـ مـحـايـداـ أـوـ مـنـصـفاـ يـقـولـ الـحـقـيـقـةـ كـمـاـ هـيـ أـوـ كـمـاـ يـجـبـ أـنـ تـعـرـضـ وـتـقـالـ،ـ وـلـذـلـكـ فـمـنـ سـبـيلـ الـمـحـافظـةـ عـلـىـ الهـويـةـ تـرـبـيـةـ مـلـكـةـ النـقـدـ عـنـ الشـبـابـ الـمـسـلـمـ،ـ فـلـاـ يـكـوـنـ الـمـتـلـقـيـ الـسـلـبـيـ الـمـذـعـنـ لـكـلــ مـاـ يـعـرـضـ مـنـ (ـصـوـرـ)ـ وـمـاـ يـقـالـ مـنـ (ـكـلـمـاتـ).

وـمـنـ سـبـيلـ الـمـحـافظـةـ الـجـادـةـ عـلـىـ هـويـتـناـ هوـ أـنـ نـتـعـرـفـ عـلـىـ قـرـاءـتـهـ الـمـجـرـدةـ فـقـطـ،ـ بـلـ مـنـ خـلـالـ التـمـعـنـ وـالـتـفـكـرـ فـيـ دـرـوـسـهـ وـتـعـالـيمـهـ وـقـوـانـيـنـهـ وـتـطـبـيقـاتـهـ الـحـيـاتـيـةـ،ـ وـعـرـضـ أـسـئـلـتـنـاـ عـلـيـهـ لـيـجـيـبـنـاـ عـنـهـ،ـ وـبـالـتـلـازـمـ فـإـنـنـاـ نـحـتـاجـ إـلـىـ الـإـهـتـمـامـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ لـأـزـهـاـ سـبـيلـ مـهـمـ مـنـ سـبـيلـ فـهـمـ الـقـرـآنـ وـأـدـبـيـاتـ أـوـ مـنـابـعـ الـثـقـافـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـأـخـرىـ،ـ وـمـطـلـوبـ أـيـضاــ أـنـ نـعـيـدـ قـرـاءـةـ تـارـيـخـنـاـ قـرـاءـةـ مـحـايـداـ،ـ سـوـاءـ بـعـرـضـ وـقـائـعـهـ عـلـىـ مـفـاهـيمـ الـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ الـمـطـهـرـةـ،ـ أـوـ مـنـ خـلـالـ الـقـرـاءـةـ الـنـاقـدـةـ الـمـقـارـنـةـ بـيـنـ حـوـادـثـ وـرـوـاـتـهـ،ـ كـمـاـ نـحـتـاجـ بـالـتـواـزـيـ أـيـضاــ إـلـىـ أـنـ يـنـصـبـ إـهـتـمـاماـ مـنـاـ عـلـىـ صـيـانـةـ الـمـعـالـمـ وـالـرـمـوزـ الـتـارـيـخـيـةـ وـعـدـمـ التـفـرـيـطـ بـهـاـ،ـ فـكـمـ طـمـسـتـ وـانـدـثـرـتـ مـعـالـمـ مـهـمـهـ كـانـ يـمـكـنـ أـنـ تـُـشـكـلـ بـاعـثـاـ عـلـىـ الـاـرـتـبـاطـ الـرـوـحـيـ مـعـ وـمـاـكـنـ لـاـ تـمـثـلـ الـجـفـراـفـيـاـ فـقـطـ،ـ وـإـنـماـ تـسـتـثـيرـ فـيـ

ذهب زائرها والمتأنم<sup>ّ</sup> فيها تأريخاً حافلاً بمشاهد الفخر والاعتزاز فننتهل منها بعض حماستنا الدّينية، أو بما تذكّرنا به من مشاهد الذل والانكسار والتردد، فلا نعيد مأساتها، (ناهيك عن الأزمات) وفي ردود الأفعال على العدوان والإساءات) وفي الدّعوة بعض الحاملين لها اسماء لا ممارسة.

عن سؤال: لماذا: أسلمنا [1]؟!

فمن مظاهر الاعتزاز بالهُويّة عند بعض الشعوب هو اهتمامها بزيرها الوطني والأزياء التراثية تقديرًا لأنّها إنّها تمثّل عراقة المجتمع وأصالته وحضارته وأنماط حياته (تأمّل في انشداد الهنود والباكتستانيين والاسكتلنديين، والخلجيين، والأكراد، والسنغاليين والموريتانيين والمغاربة بأزيائهم) وما يهمّنا هنا القول. لا يدعو المرأة المسلمة ذلك إلى الاعتزاز بستّرها الشرعي حتى في الأوساط التي لا يمثّل هذا الزيّ عندها قيمة بذاته. ألم تُمنع بعض الفتيات في المدارس الغربية من ارتداء غطاء الرأس على اعتباره رمزاً دينياً؟ فلماذا نتسّك البعض بزيرها الوطني معتبراً إياه دليلاً على الانتماء ولا نتسّك كمسلمين بأزيائنا كدليل على انتمائنا لهُويّة معيّنة؟!

ومثل ذلك يقال عن اعزاز الشعوب والأمم بأعياد احترعنها وابتدعوها، وقد يبدو بعضها تافهاً وسخيفاً، لكنّهم يصرّون على ممارسته وإحياءه والاحتفال به كلّ عام، كالاحتفال بعيد شم النسيم، بعيد النيروز، بعيد الطماطم (التوّماتينا) الذي يُحتفل به منذ أكثر من ستين عاماً، وهو تراسق بالطماطم ليس إلّا، بعيد الحبّ الحسّي (فلنتاين). والأعياد التي ابتدعها الناس بعد ذلك كثيرة لا نريد الخوض في تسمياتها وتفاصيلها، ولا تقييم ما لها وما عليها، لكن ذلك يدعونا إلى مراجعة أعيادنا الإسلامية، لنرى كم فيها من معالم الفرح الروحي التي لا تجد في أعياد الدنيا كلّها.. إنّها ملجم من ملامح هُويّتنا التي تدعونا إلى الاعتزاز بظواهر البهجة من خلال الفرحة بالقرب من الله أكثر سواء من خلال التزاور أو التسامح أو رعاية الأيتام والأرامل ومساعدة المعوزين.. إنّه عيد الخير والبركة والتواصل.

وقل الشيء نفسه عن اعزاز الشعوب بمعابدها وآثارها الدّينية التي يقصدها الحجاج من كلّ مكان للتقرّب إلى أصنام وأوثان وممارسة طقوس عجيبة غريبة ما أنزل الله بها من سلطان، وبين أيدي المسلمين من أماكن العبادة ما تسمى بالروح في أجواء الصفاء. ومن الطقوس العبادية ما يقوّي أواصر المسلم بأخيه المسلم وبأعمّته الإسلامية، وبما يبني شخصيّة المسلم ويرفع من معنوياته. (ولسنا في صدد الحديث عن المبتدعات من شعائر غريبة ودخيلة على ديننا بآباهما العقل والذوق السليمان).

[1] - مما يؤكد ثقتنا أنّ الهُويّة الإسلامية صبغة في الوجودان ليست دهاناً على الجدران، إنّ مَن يُسمى بـ(مؤسس تركية الحديثة) (مصطفى كمال أتاتورك) حاول أن يمسح هذه الهُويّة وأن يطرد كلّ ما يرتبط بها، لكنّ جذورها الممتدّة في العمق بقيت راسخة حتى أطلت على الحياة من جديد، وإذا المسلمين الأتراك اليوم أشدّ اعزازاً بهُويّتهم الإسلامية من أيّ وقت مضى!.